الملتقى الدولي بتقنية التحاضر عن بعد بعنوان:

النص التراثي العربي

في منظور الحداثة وما بعدها

الحود - التصورات - الإشكالات

20/19 ماي 2021

اسم ولقب المشارك1: ط.د نجاة طرهيوة **اسم ولقب المشرف2** : د.سعيد بهون علي-n.terhioua@univ
boumerdes.dzs.bouhoun-ali@univ-boumerdes.dz

المؤسسة التي ينتمي إليها: جامعة امحمد بوقرة بومرداس **المؤسسة التي ينتمي إليها:** جامعة امحمد بوقرة بومرداس

مخبر أطلس الثقافة الشعبية (الجزائر2() الجزائر)

التخصص الدقيق: أدب عربي قديم

الرتبة العلمية: طالبة دكتوراه سنة ثانية

الهاتف النقال: 0663033704

(الجزائر)

محور المداخلة: التراث العربي والمقاربات الحداثية الإنجازات والمشاريع

عنوان المداخلة: تيمة التَّمرُّد في شعر الصَّعاليك " مقاربة ثقافية "

الملخص:

تتطرقنا في هذا البحث إلى المقاربة الثقافية لإحدى الظواهر الأدبية المهمة في التراث العربي القديم، وهي ظاهرة التمرد في شعر الصعاليك، وذلك من خلال قراءتها بمنظور ثقافي حديث، ويركز البحث على دراسة تيمة التمرد وعلاقته بالموروث الأدبي،وابراز موضوع التمرد في شعر الصعلكة، هذا الموضوع الذي ارتبط بالشاعر نتيجة فعل قهري يُمارس ضده من طرف سلطة القبيلة التي تأخذ منه حريته بالقوة. وعلى هذا الأساس نتساءل عن موضوع التمرد في شعر الصعاليك؛ وللإجابة عن هذا الإشكال قمنا بضبط جملة من العناصر من خلال التطرق إلى الاغتراب في شعر الصعاليك والبحث عن الذات المفقودة، ثم تكلمنا عن ثقافة ورؤية الشاعر الصعلوك للجوع، ثم تكلمنا عن الطبيعة وأنساقها، ثم ثقافة الحكمة، ثم ثقافة البطولة في سبيل تحقيق الذات، وختمنا بثقافة الموت والحياة، وذلك لتوضيح دور وأهمية البحث التي تنبثق من أهمية المجتمع المدروس، وذلك من خلال التعرف على مجتمع الصعاليك وحياتهم عامة، وفكرهم وثقافتهم بشكل خاص.

الكلمات المفتاحية:المقاربة الثقافية؛ الثراث العربي القديم؛ تيمة؛ التمرد؛ شعر الصعلكة.

Abstract:

In our research, we have dealt with the cultural real estate of the important literary phenomena in the ancient Arab history. It's the phenomena of rebellion in the poetry of the tramp's time. Through reading it with a modern cultural perspective. This research focuses on both studying the rebellion and its relation with the heritage of literature and stating the rebellion in the poetry of tramps.

This subject that was belonging to the poet as a result of forced action done by the authority of the tribe that took the poet's freedom by force. So, on this basis, we ask about the topic of the rebellion in the poetry of tramps. And to answer، we put a set of elements through addressing alienation in the poetry of the tramps and we looked for the lost self. Then، we have talked about the cleanliness and vision of the traumatized poet of hunger. After that، we dealt with nature and its consistency. On the other hand، we talked about the culture of wisdom.

Further more، we spoke about the culture of heroism for the sake of self-realization. We sealed with the culture of death and life. In order to clarify the role and importance of the research that is emerged from the importance of the studied society. Through getting to know the community of tramps and their lives in general، and their thoughts and culture in particular.

Key words:

Metropolitan real estate; The ancient Arab heritage; The amulet; Rebellion; The tramp's poetry.

مقدمة:

لكل مجتمع خصوصيته التي تميزه عن باقي المجتمعات، ومن هنا كان للمجتمع الجاهلي ثقافته الخاصة التي من أبرز مقوماتها هو أنَّ الشعر " ديوان العرب "، وسجل تاريخهم، وكان صورة صادقة للحياة الجاهلية بكل تفاصيلها، يعبر فيه الشاعر عن ذاته وما حوله، ومن أكثر الظواهر الشعرية السائدة نزعة التمرد وتمظهراتها في شعر الصعلكة، وكان أبطالها هم الصعاليك، وذلك بهدف دراسة الهوية الثقافية للصعاليك، متبعين المنهج الثقافي لإتصاله بمختلف ملامح الحياة، هذا المنهج الذي كان من أهم مناهج الفكر النقدي، والثقافة العربية، فقد أحدث نقلة نوعية في مسار الحركة النقدية العربية من خلال دراساته الحديثة والمتنوعة والمعمقة لظَّاهرة الأدبية.وتتطلب دراسة الشعر بمختلف مستوياته فهم العلاقة بين الثقافة والوجود الاجتماعي، كون الثقافة أحد جوانب ذلك الوجود، فالخطاب الشعري يعكس الثقافة، فهو مادة ثقافية تبلور التصورات والممارسات السائدة فتحولها إلى رموز وإشارات، وتحيل على أنساق ثقافية تتحرك في المجال الثقافي لذلك العصر الذي ينتمي إليه. الحضارة لها شقان مادي يتمثل في التكنولوجيا ومعنوي يتمثل في الثقافة وتجلياتها، ومن ثم تعد الثقافة

من أهم العوامل الأساسية التي تحقق التنمية والتطور، فالثقافة هي نتاج بشري مرتبط بالجهد الإنساني والعمل. فالمقاربة الثقافية تنطلق من ثقافة النص الشعري وتهدف إلى تحليله في ضوئها.

1-الاغتراب في شعر الصَّعاليك والبحث عن الذات المفقودة:

الاغتراب استخدم هذا المصطلح بدلالات مختلفة ظهر كثير منها بصورة تفتقر إلى التمييز بشدة، فهو من الوجهة الدينية يظهر في أن الأديان الثلاثة الكبرى تلتقي على مفهوم أساسي واحد للاغتراب بمعنى الانفصال، انفصال الإنسان عن الطبيعة، والملذات، وانفصال الإنسان غير المؤمن عن الإنسان المؤمن، فالاغتراب ظاهرة حتمية في الوجود الإنساني[1]. ووصل الحد إلى درجة عدم تمييز ووضوح المغترب.

أما فلسفيا حدد الوجوديون هيجل وماركس فكرة الاغتراب بنظرة شمولية واحدة تتجسد في أنه انعكاس لتصدعات في العلاقات العضوية بين الإنسان وتجربته الوجودية الذات/ الموضوع، الجزء/ الكل، الفرد/ المجتمع، الحاضر/ المستقبل[2]، الاغتراب هو فقد الفرد لذاته ومجتمعه، وهو انقطاع روابط الإنسان بمجتمعه، ويواجه العالم الخارجي ساعيا لتصدي للوحدة والغربة، فيخلق لنفسه عالم جديد متمسكا بحريته، ويتبلور مفهوم الذات من إحساس الفرد بخصوصيته وتميزه.

ظاهرة الاغتراب في شعر الصَّعاليك لها جذورها التاريخية منذ الجاهلية فهي ليست وليدة اللحظة، والاغتراب عندهم يكون عن القيم والتقاليد وأعراف القبيلة، وحدوده الفاصلة بينه وبين الذات الأخرى،والشعراء الصَّعاليك هم الذين خرجوا على قبائلهم، أو طردتهم قبائلهم وخلعتهم - فالصعلكة كانت دفعا للجوع والظلم وطلبا للعادلة والتوازن الاجتماعي والاقتصادي- ، وانقسموا إلى قسمين:

قسم هاجر للصحراء ورضيَّ بالجوع والتشرد والمطاردة في سبيل الحفاظ على كرامته، واتصفوا بالشدة والسرعة والسطو، وقسم رضي بالمهانة والذل والاستسلام. وكان للصعلكة أسبابها التي أدت إلى تجسُّدها وظهورها في الجاهلية من فقر وجوع، أو طرد وخلع، أو الشذوذ والانحراف وكثرة الجنايات والسطو والنهب والقتل والظلم.

وتعود أسباب غربة الصَّعاليك في النص الشعري من خلال الأنساق وفي مختلف العصور إلى الإحساس والشعور بالظلم وعدم المساواة، وكثرة الجنايات والجرائم، والسطو والنهب والخلع، ومما زاد في انحرافهم العامل النفسي المتمثل في عقدة اللون لما وقع عليهم وعلى أمهاتهم من اضطهاد، فمن الطبيعي أن يكون ردت الفعل بالتمرد وقطع الطرق واللصوصية، أو بالشذوذ والانحراف والمطاردة . وتتمثل الغربة النفسية في طرد القبيلة لأبنائها وخلعهم والشعور بالوحدة والعزلة، وشعور الصعاليك بالمرارة والانتصار لنفس ترفض مجتمعاتها باحثة عن غيرهم بل هم مغتربون عنهم نفسيا، وقد ورد في السياق ميلهم لغير مجتمعاتهم، يقول الشنفرى:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ فَإِنِّي إِلى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ

فَقَدْ حُمَّتْ الحَاجَاتُ واللَّيْلُ مُقْمِرٌ وَشُدَّتْ لِطَيَاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ

وفي الأَرْضِ مَنْأًى لِلْكَرِيمِ عَنِ الأذَى وفيها لِمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَـزَّلُ

لَعُمْرُكَ ما بالأرْضِ ضِيقٌ على آمْرِىءٍ سَرَى رَاغِبًا أو راهبًا وهو يعقل[3]

فقد يئس الشنفرى من قومه وكان حله الوحيد هجران قومه والخروج عن نظمه وأعرافه، وعمل على إيجاد مجتمع آخر ينتمي إليه، وأهل آخرون. وينظرون لمجتمعاتهم نظرة تعالي ردا لكرامتهم المجروحة وأن أي مجتمع أفضل منهم. واستخدام ضمير المتكلم تعبيرا عن المواجهة والتحدي والذاتية والوعي. فيقتل ولا يؤخذ بثأره ولا تدفع له دية ولا يزوج من الحرائر، ونتيجة التحلل من الشخصية القبلية فلا يقيم وزنا لعلاقته بالقبيلة أو الدولة ولا يشعر بأنه جزء منها، بل هو مقابل للقبيلة ويتعالى أن يصبح فردا منها.يبحث الشنفرى عن العالم الأمثل، وبعد أن قطع الشاعر انتماءه بمجتمعه بدأ يبعث عن انتماء لعالم جديد بديل يحقق له الأمن، ويتلائم مع نفسيته المتمردة، يقول:

ولي دُونَكُمْ أهْلُون: سِيدٌ عَـمَلَّسٌ وَرْقَـطُ زُهْلُولٌ وَعَـرْفَـاءُ جَيْئَـلُ

هُمُ الأهْلُ لا مُـسْتَوْدَعُ السِّرِّذائعٌ لَدَيْهِمْ وَلاَ الجَاني بما جَرَّيُخْذَلُ[4].

حاول الشاعر الهروب إلى عالمه الجديد من حيوانات برية مفترسة، ويركز على تسميتهم بالأهل وهذا يعكس عمق القهر والمأسات التي تجسدت في مجتمعه. ثم يحاول الشنفرى توفير الحماية لعالمه الجديد، يقول:

ثلاثة أصـحابٍ: فـــؤادٌ مشـــيعٌ وأبيضُ إصليتٌ وصفراءُ عيطَلُ

هتـوفٌ من الملـمسِ المتون يَزينها رصـائعُ قد نيطتْ إليها ومحملُ[5]

الصعاليك أصبح شعرهم يعبر عن هذه الحياة الجديدة التي ألفوها بطبيعتها ووحشتها، وتحرروا من سلطة القبيلة وشيوخها وسادتها، وأضحى الأنا الفردي طاغيا، وانتفى ضمير القبيلة من قاموسهم، وإن ورد ضمير الجمع في شعرهم، إنما هو الأنا الجمعي الذي يعبر عن تجمع الصعاليك، حيث لا تربطهم رابطة القبيلة أو اللون أو النسب، وإما رابطة جديدة على المفهوم الاجتماعي آنذاك، إنها رابطة الحرفة، والصنف، والمبدأ، وهي نسبهم الوحيد[6]، إذن من مبادئهم تضخيم الأنا الفردية مقابل ضمير نحن الجماعي للقبيلة والاعتزاز بالذات.

وهذا "الأنا الجمعي" الحاضر في شعرهم، إنما هو تعبير عن التكتل والتجمع، والتمرد، هذا التمرد الذي حرر الشعراء الصعاليك من السلطة، فجاء شعرهم ليمزق ستار السلطة وحجابها، وليخترق طقوسها ومكنوناتها فتحرروا من الذوبان في القبيلة، وفي الآخر، وصنع كل واحد من الصعاليك فرديته، إلى جانب شخصية الجماعة – جماعة الصعاليك – دون الذوبان فيها، وإنما ليتحرر كل واحد بشخصيته ويعتز بها [7]. واعتزاز الصعلوك بنفسه لا يرتبط بالضرورة باعتزازه بالآخرين.

ومن العوامل التي ساهمت في الاغتراب عند الصعاليك البيئة الجغرافية والظروف الطبيعية المحيطة،"فظاهرة الصعلكة التي نحن بصدد دراستها وتفسيرها اتخذت من البادية العربية مسرحاً لها، وكان ارتباطها بهذا المسرح

الجغرافي أول ما يعيننا على فهم الدور الذي قام به أبطال قصتنا «الصعاليك»"[8]. والعامل الجغرافي من أول العوامل التي ساهمت في ظهور ظاهرة الصعلكة.

وهي ظاهرة اجتماعية انتشرت في الجزيرة العربية، وبرزت على هامش الحياة القبلية كردود أفعال على بعض العادات والأعراف القبلية، من نبذ وطرد وخلع لأفراد همش قسم منهم إكراها وهم الأغربة العرب، والقسم الآخر وهم الخلعاء الذين يخرجون عن المألوف والسائد من العادات وتقاليد القبيلة، ويتم خلعهم وطردهم خارج محمية القبيلة. ويصبح الخليع بدون انتماء أو سند أو عون من عشيرته وأهله، وهناك الصعاليك المحترفون وهم من يخرج عن قبيلته طوعا وبإرادته[9]. وكان للتقاليد القبلية أثر كبير في تغريب أبنائها، فكانت نشأة الصعاليك من المطرودين أو المخلوعين، أو المنكرين للعادات والتقاليد والأعراف، فكان الاغتراب بسبب الاختلافات في الأفكار.

ومن أسباب الاغتراب القهر الذي يتعرض له الصعاليك من قبائلهم وأقوامهم، والظروف المحيطة، والغربة عن الذات وعجز الصعاليك لتأقلم مع مجتمعاتهم، فالإنسان لا يستطيع أن يعيش بمفرده معزولا عن مجتمعه.

2- ثقافة الشاعر في مواجهة الجوع:

ترددت صيحات الفقر والجوع والحرمان في أشعار الصعاليك، وكانوا ناقمين وثائرين على الأغنياء والأشحاء، وامتازوا بالشجاعة والصبر. علاقة الشاعر الصعلوك بواقعه الاجتماعي علاقة جدلية، فواقعه هو التشرد والجوع والمطاردة، وكان لا بد للشاعر من أن يعبر عن تجربته ضمن مخيلته ورؤيته الخاصة والذاتية، فالجوع مظهر لازم الصعلوك، يرسمه الشاعر بصورة رائعة مع نفسه التي تأبى وترفض الإهانة والذل، فلا يجد أمامه إلا الصبر والقناعة، فهاهو الشنفرى يستف التراب ليقهر الجوع ولا يتخلى عن كرامته وعفته.

أجمعت كل كتب اللغة على أنَّ أصل الصعلكة الفقر، وشعر الصعاليك يؤكد على أبرز ما قامت عليه الصعلكة في نشأتها وفي حياتها للفقر. وهذا الفقر لم يكن عادياً، وإنما فقراً قاسياً، وكانت آثاره من الجوع والهزال والحرمان أشد معاناة في القوة، والسليك يرسم لنا صورة صادقة عن الجوع وآثاره، فيقول أنه حتى في الصيف الذي تكثر فيه البان البادية وخيراتها يبلغ منه الجوع أحيانا أن يأخذ الدوار حين يقف فتظلم عيناه، يقول:

وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرنى إذا قمت تغشاني ظلال فاسدف

والفقر لم يكن سبباً في نشأة الصعلكة وإنما الإحساس بالفقر هو الذي يصلح أن يكون، ومن العوامل التي أدَّت إلى وجود الفقر:

- ✓ ضعف الموارد البيئيةجعل ميزان التعادل بين الأفراد والجماعات حساسا، فإذا أثرى فرد كان ثراءه على حساب الآخرين، وإذا غنيت جماعة كان غناها يمثل هبوطاً في حياة جماعة أخرى. وهذا الثراء المجاور للفقر، هو الذي نعنيه في إثارة الإحساس بالفقر، فبعض الفقراء تميزوا بقوة العزيمة ورفض البؤس والحرمان – وهم الصعاليك – فهذا عروة بن الورد يخاطب امرأته قائلاً:

ذريني للـغنى اسعى فانـي رأيت الناس شرهم الفقير

وأحقرهم وأهونهم عليهم	**وان أمسى لــه كـرم وخيـر**
يباعده القريب وتزدريــه	**حليلــته وينهــره الصغيـر**
وتلقى ذا الغنى وله جلال	**يكاد فؤاد صاحبــه يطيـر**
قليل ذنبه والذنب حتم	**ولــكن للــغنى رب غفــور**

وكما يقول تأبط شرا:

اذا المرء لم يحتل وقد جد جده	**أضاع وقاسى امره وهو مدبر**

- ✓ نواحي البيئة نفسها غير متفقة في خصبها وجودها بالخير، وهنا يثور الإحساس بالفقر عند بعض الفقراء حين يجدون جيرتهم وأقربائهم يتمتعون بالخيرات في الوقت الذي فيه هم يعانون ما يعانون. فليس من الغريب أن نجد معضم الصعاليك والفتاك ينتمون إلى هذه المناطق الخصبة، وكان للتجارة وما يرتبط بها من الأسواق والطرق التجارية وما لذلك من العوامل المهمة في خلق الصعلكة، فهذه القوافل التي كانت توغل في مجاهل الصحراء، والتجار الذين كانوا يترددون بتجارتهم على الأسواق في هذه الطرق والمجاهل؛ كل ذلك كان صيدا ثمينا يغري طوائف الصعاليك من قطاع الطرق وأصحاب الغارات بأن يتعرضوا لها ويستميتوا في الفوز بها[10].

فالعامل البيئي يرتكز على قسوة الصحراء وشحها بالغذاء إلى درجة الجوع الذي يهدد الإنسان بالموت، ومن الملاحظ بالرغم من أن الفقر الذي أدى إلى درجة الجوع المميت لم يكن السبب الوحيد في ظهور الصعلكة، وإنما الأهم هو احتكاكه بالغنى، غنى أصحاب الإبل في البادية، وأصحاب الجارة في المدن.

يقول الشنفرى:

وإنْ مُدّتِ الأيْدِي إلى الـزادِ لم أكُنْ	**بأعْجَلِهِمْ إذْ أشْجَعُ القَوْمِ أعْجَلُ**
ومـا ذاكَ إلاّ بَسْطَةٌ عَنْ تَفَــضُّلٍ	**عَلَيْهِـمْ وكان الأفْضَـلَ مُتَعَلَّــلُ**
وَأغْدو خَمِيصَ البَطْن لا يَسْتَفِزُّنِي	**إلى الزَّادِ حِرْصٌ أو فُؤَادٌ مُوَكَّــلُ**[11]

نلاحظ تضخم الأنا لدى الشاعر، إذ يستخدم ضمير المتكلم بصورة لافتة. ويتحدث عن عفته في تناول الطعام مع قومه وعدم الحرص على الزاد بالرغن من أنه كان محروما وجائعا محتاجاً.

3- الطبيعة وأنساقها:

طبيعة الأرض و الحياة:

شكلت الأرض مؤثراً ثقافيا وجوديا يحمل في طياته الأمن والأمان يلجأ إليه الصعلوك حين يتخلى عنه أهله وذويه ومن يأويه.

نتيجة لطبيعة أرض الجزيرة العربية التي يغلب عليها الطابع الجبلي خلقت حصوناً لأبنائها لتوفر لهم الحماية، والبيئة العربية فقرها عنيف ومناخها عنيف، ويصف الشنفرى ليلة اشتد فيها البرد، فيقول:

وليلة نحس يصطلي القوس ربها وأقطعه اللائي بها يتنبل

ويصف أيضا يوما من أيام الحر الشديد، فيقول:

ويوم من الشعرى يذوب لوابه أفاعيه في رمضائه تتململ

كل شيء في هذه الصحراء قاس وعنيف، فلا عجب أن ينعكس ذلك على أبنائها، وعلى الرغم من ذلك نجد الصعاليك يألفون الجبال والقفار والأماكن الوحشية، فتأبط شرا يتحث عن مكان موحش يخافه الجميع إلاَّ هو يألفه لاعتقادهم فيه الغول، بل يتحث عن قتله احداها يقول:

ألا من مبلغ فتيان فهم بما لقيت يوم رحى بطان

بأن قد لقيت الغول تهوى بقفر كالصحيفة صحصحان

ويتحث الشنفرى عن أبعاده في الغزو حتى يبلغ أماكن موغلة في البعد، وجميعها جبال موحشة، فيقول:

غزوت من الوادى الذي بين مشعل وبين الحشا هيهات أبعدت غزوتي[12]

نلاحظ أنَّ الأرض كانت مؤثرا ثقافيا وجوديا، فالبيئة الصحراوية حمت أبنائها، وبعد حالة الاغتراب للشاعر حاول الخلاص ولم يجد مأوى إلاَّ الأرض فهي سبيل الخلاص بالنسبة له، في الوقت الذي ضاقت فيه النفوس ببعضها، فشكلت الأرض الملجأ رغبة في الوجود.

السياق يكشف الضيق الذي فيه الشاعر حتى وإن حاول إخفاء قهره بابراز صوته نابذاً لا منبوذاً، هذا الضيق الذي تحتويه الأرض لتكون العون والمساعد له ومصدر بقائه ووجوده. لذا ثقافته النفسية من جد واصرار تجعله يطمئن ليتخطى صراع القهر.

مظاهر غربة قومه تجلت في إذائه واستبعاده من المكان فصار يطلب العزلة، ونلاحظ أنَّ الأرض تحولت في ثقافة الشاعر إلى مصدر احتضاء واحتواء لنَّفس التائهة الشاعر الصعلوك التي تبحث عن الأمان والاستقرار ليجد فيها الخير كبديل لقومه الذين تخلو عنه.

جاء الخطاب بصيغة الأنا المفردة يلتمس فيه الشاعر تعويض عن الآخر.

4- ثقافة الحكمة:

✓ **حكمة النجاة من الموت:**

الشعراء الصعاليك يؤثرون الحياة على الموت، فهذا تأبط شرا يدافع عن نفسه قائلاً:

وَلَمْ أَنْتَظِرْهُمْ يَدْهَمُونِي تَخَالُهُمْ وَرَائِيَ نَحْلاً فِي الخَلِيَّةِ وَاكِنَا

وَلاَ أَنْ تُصِيبَ النَّافِذَاتُ مَقَاتِلِي وَلَمْ أَكُ بالشَّدِّ الذَّلِيقِ مُدَايِنَا

فَأَرْسَلْتُ مُنْبَتّاً مِنَ الشَّدِّ وَالِهاً وَقُلْتُ: تَزَحْزَحْ لا تَكُونَنَّ حَائِنَا [13]

الشاعر الصعلوك يفتخر بحيله، وحكمته في الفرار والنجاة والخلاص، وهاهو أبو الخراش يجعل الفرار مذهباً له، وهذا ليس جبناً منه وإنَّما دهاءً، فهو إلى جانب فراره مقاتل شجاع، يقول:

فإِنْ تزْعُمي إنـــي جبنتُ فإنّني أَفروأرمـــي مـــرة كلَّ ذلـــك

أَقاتلُ حـــتى لا أَرى لي مُقَاتَلا وأَنجو إذا ما خفتُ بعضَ المهاكِ [14]

ونلاحظ أنَّ أحاديث الفرار في أخبار الصعاليك ظاهرة واضحة تأخذ شكل القصة السردية.

وكانت الإغارة من الوسائل التي يبني عليها الصعاليك اقتصادهم لذا كان لابد لهم من حكمة ومعرفة لانجاح الإغارة، وعلى المرء أن يكون مرناً في تصرفاته يقول تأبط شرا:

إذَا المرءُ لَمْ يَحْتَلْ، وقد جَـــدَّ جِدُّهُ أضَاعَ، وقَاسى أمْرَهُ، وهو مُدْبِرُ

ولكنْ أخو الحَزْمِ الذي لَيْـــسَ نَازِلاً بِهِ الأَمْرُ، إلاَّ وهُو للأَمْرِ مُبْصِرُ

فَذَاكَ قَرِيعُ الدَّهْرِ، مَا عَاشَ، حُوَّلٌ إذَا سُدَّ مِنْهُ مَنْخِرٌ جَاشَ مَنْخِرُ [15]

وبالتالي تكون الحيلة والدهاء وسيلة الشخص الذكي للفرار من خطر الموت.

✓ **حكمة الصبر والحلم:**

الصعلوك حياته مصائب، فصبره يعظم الأمور، ويرفع مكانته، فالإنسان في رحلته في الحياة يسعى لابتعاده عن الخطر والسعي للبقاء، وهذا يتطلب العقل والحلم، يقول الشنفرى:

ولاَ تزْدَهِي الأجهال حِلمي ولا أرى سؤولاً بأعقـــابِ الأقـــاويلِ أنمُلُ [16]

لا يكون ضبط النفس إلاَّ بالعقل، فكان لا بد للحلم من أجل الأمُّل في الحياة، وعندما تشتد المصائب يلزم استخدام العقل والحلم، يقول الشنفرى:

فـــإنِّـــي لمـــولى الصَّبرِ أجتـــاب بَزَّه على مثلِ قلب السِّمعِ والحزْمِ أفعلُ [17]

الحلم صفة العاقل، والشنفرى قادر على هذا الحلم أمام كل المواقف من حرمان واغتراب وجوع وفقر.

وفي الصبر تحكم في النفس، وتعويد لها على التحمل، والصبر يحمل دلالات عميقة، والصعلوك بصبره يُعظم الأمور، ويرفع شأنه، فالشاعر أدرك قيمة الصبر.

✓ **حكمة التخلص من الجوع:**

من أخبار الصعاليك أنهم فقراء حتى سيدهم عروة بن الورد، إذ يقول:

ذريني للغِنَى أسعىَ، فـإني رأيت النَّاس شرَّهم الفقيرَ

وأدنــاهَم وأهونَهَم عليهم وإن أمسى له حسب وخير

يباعده القريبَ وتزدَريــه حلـيلتَه وينهرَهَ الصَّــغيرَ

ويَلقى ذو الغِنَى ولهَ جَلالَ يكاد فؤادَ صاحـبِهِ يطيرَ

قليل ذنبه والذنــب جم ولكن للــغنى رب غــفور [18]

الشاعر لا يطلب الغنى لذاته، وإنما لحفظ كرامته الإنسانية بعد أن أصابها الهوان والذل. ويكون الجوع حافزاً يتبناه الشاعر لاجتياز واقعه المؤلم، فهاهو عرروة بن الورد يفضل الموت على الحياة الذليلة، يقول:

إذا المرء لم يبعث سواماً ولم يرح عليه ولم تعطف عليه أقاربه

فللمــوت خيرللفتى من حــياته فـقيراً ومن مولى تدبّ عقاربه [19]

والحكمة لا تأتي من فراغ بل ترجع لتجربة ذاتية لاظهار أفكار وثقافة الشاعر، والشعراء كان لهم حكمة تختص بثقافة معينة، وخاصة بهم لمواجهة كل التحديات والعراقيل والصعوبات التي تقف في مسار حياتهم.

5- ثقافة البطولة في سبيل تحقيق الذات :

الشجاعة مصطلح يصف موقف أو شعور لدى شخص في حالة الخطر. وهي القوة الموجودة لدى الإنسان بداخله، وهي الثبات والجرأة والإقدام على المكاره، والاستهانة بالموت.

و البطولة صفة نبيلة ومفهوم أكثر خصوصية عند الشاعر مستمدة من بيئته بملامحه الفكرية الثقافية، ومن الحياة العامة للشعر، يتحلى بها كل إنسان شريف محترم له قيمة بين الناس، وعند ذكر اللفظة يتداعى مفهومها العام في الذهن وهوالشجاعة، "شجاعة القلب والجسد في القتال، وقوة البدن وسلامته وطواعيته، وهو معناها الشامل القديم، ومازال باقيا في أذهان العامةوخيالهم" [20]. وقد يكون هذا التفسير اتصاف كثير من الأبطال بالشجاعة، فأدى ذلك إلى اقتران البطولة بالشجاعة.

البطولة في الحرب تعني تفوق البطل في حركاته وسلوكه، وهذا يتطلب منه الجرأة والشجاعة والقوة الجسدية والذكاء والخبرة، ولهذا نجد تفاخرالفرسان بالإقدام والجرأة في القتال، يقول عامر بن الطفيل:

لقد علمت عليا هوازن أنَّني أنَا الفارِس الحامِي حقيقة جعفر

وقد علم المزنوق أني أكـره على جمعهم كره المنيح المشهــر

إذا ازوروقعِ الرماحِ زجرتُه وقلتُ له: ارجع مقيلاً غير مدبــر

وأنبأته أن الفــرارخزلـية على المرء ما لم يبل جهداً ويعذِرِ [21].

والفخر والبطولة بصفة الأنا الأعلى يرتفع في خطاب الشاعر الصعلوك مستندا على المفاضلة. فالصعلوك يفتخر بكل الظروف التي ظهرت فيها الصعلكة، متفوق ببسالته، شامخ ومعتز بنفسه.

فالشاعر وإن ارتفع بفكره وعقله وثقافته لم يرتفع بأساليبه، فثقافة اللغة كامنة في ظاهرة اللغة. نجد الشنفرى رسم مجتمعه بدقة في شعره، وهو في تلك المادة نحى منحى السرد القصصي أحياناً في تصوير بطواته، يقول الشنفرى:

دَعِـيني وقُـولِي بَعــدُ ما شِئْتِ إنَّـنِي سَيُغـدَى مَرَّةً فَــأُغَـيَّـبُ

خَرَجْنَاَ فَلَمْ نَعْـهَدْ وَقَلَّتْ وَصَاتُنَا ثَــمَانِـيـةً ما بَعْدَهَا مُـتَعَـتَّبُ

سَرَاجِينُ فِتْيانَـنٌ كَأَنَّ وُجُودَهُـمْ مَصَابِيحُ أَوْلَونٌ مِنَ المَاءِ مُذَهَّبُ

نَمُرُّبِرَهْوِ المَاءِ صَفْحاً وَقَدْ طَوَتْ شَــمَـائِلُـنَا والزَّادُ ظنٌّ مُـغَيَّبُ [22]

يبني الشاعر هذه القصيدة بنية سردية درامية، والبطولة المحور الذي تلتف حوله الأحداث.

الشاعر أراد أن يضعنا أمام مشهد الموت الذي تسقط معه قيمة الإنسان حين يغدو جسداً بلا روح.

6- ثقافة الموت والحياة لدى الشاعر الصعلوك :

أردنا دراسة موقف الشعراء الصعاليك من الحياة والموت؛ لأنَّ هؤلاء الشعراء أرادوا الوصول إلى حياة عادلة بعيدة عن الظلم والتسلط، ولهم الاستعداد للموت في سبيل هذه الحياة، وهم بعيدون كل البعد عن الكسل والخمول، فهذه الفئة سبب وجودها المجتمع الظالم، ومن ثم حاربها، وبذلك كان لهم نظرة خاصة للحياة والموت تجسدت في شعرهم. تشكل رؤية الصعاليك للحياة والموت موقفا عاماً إحساسهم بحتمية الموت واقترابه جعلهم يتمردون على الحياة للنجاة من دنس الواقع المر وتناقضاته.

وهذا تأبط شرا يفضل الموت، فهو يقيم مفاضلة بين الموت والموت الأجمل في رأيه وهو موت الشنفرى الذي اختاره لنفسه صابرا:

وأَجْمَلُ موتِ المرء إذَا كانَ ميتا ولابدَّ يوما، موته وهو صابر

والشنفرى لا يقل عنه اعتزازا بالموت ورفضا للذل وقد أوضح ذلك في لاميته أكثر من مكان، يقول الشنفرى:

أقيموا بني أمي صدور مطيــــكم فــــإني لقــوم ســـواكـــم لأميل

ولست بمحيـــــار الظلام إذا نحت هدى الحوجل العسّيف بهماء هوجلُ

ولولا اجتناب الذام لم يبق مشربٌ يعـــــاش به إلاَّ لــــديّ ومــأكـــل [23]

شغلت فكرة الحياة ومواجهة الموت أو الهروب منها كثير من الشعراء، فأكبر وأغمض سر بالحياة هو الموت، فقد كانت العبثية – التي كانت وسيلة الخلاص من الموت - وعدم الاكتراث والموت علاقة جدلية، فقد يكون سبب

العبثية لدى الصعلوك هو الاغتراب أو السلوك النفسي والفكري. وكانت المغامرات التي يقوم بها الصعاليك أحد أهم وسائل العبثية وسبيل الخلاص من الموت.

فقد كان الصعاليك كغيرهم من الأفراد تؤرقهم فكرة الموت، وصارت النظرة له خاصة لتخليص الذات من الفكر والقلق، فأصبحت العبثية واللامبالاة خير خلاص من الصراع الداخلي المسيطر والملازم على أنفسهم التي تبحث عن ذاتها في كل مكان. وهم يعرضون أنفسهم للموت في سبيل البقاء، ورغبة في الحياة، ويفضلون الموت عن الحياة إذا تعارض مع مبادئهم.

فنلاحظ البحث عن الوجود لا يتأتى إلا بتوقع الموت المتعارض مع البقاء، وهذان إتجاهان متعارضان ومتلازمان في حياة الصعاليك، فالبحث عن الحياة يسير في خط متوازي مع الموت.

وهكذا ظلت حياة الصعلوك إغارة وسطو وغزو تدفعه لمواجهة المخاطر التي قد تودي بحياته في سبيل البقاء، وهكذا ذات الصعاليك قامت على بلورة ذات جديدة للإنسان الجاهلي، والتي قوامها احياء القيم.

الصراع النفسي بين الصعلوك المتمرد والذات التي تحاول الاستقرار أخذ بعدا كبيرا، حتى صار الموت صاحبا له في وقت وحين يناجيه.

الخاتمة:

بعد محاولة الاطلاع على شعر الصعاليك، ومحاولة تطبيق آلية المنهج الثقافي في تحليله استطعنا التوصل إلى بعض النتائج حول هذا الشعر وظاهرة التمرد التي كانت بداية التجديد في العصر الجاهلي، ومن هذه النتائج نذكر:

-أثرت الظروف البيئية والعوامل القاسية التي عاشها الصعاليك في تكوينهم النفسي والفكري ، وتشكلت في أذهانهم خلاصة فكرية ثقافية ناضجة، أكملت نضوجها مؤثرات داخلية كانت استجابة لمؤثرات خاجية، فشعرهم كان يعبر عن أحاسيسهم وفكرهم، وله خصوصية ذاتية.

-شكل الجانب الثقافي لشعر الصعاليك صورة حية للحياة الجاهلية، وانعكاساتها على الفرد، بما ساد فيها من تعصب، وظلم، وعدم استقرار، وتشرد فكان الصعاليك ضحايا مجتمعهم، يواجهون مخاطر الصحراء بعبثية باحثين عن ذواتهم في جو من الشعور بالاغتراب الذي لا يظهر في النص بذاته، بل يظهر في أنساق متشابهة في دلالتها.

-مضامين الخطاب الشعري تسعى إلى بلورت التصورات الاجتماعية السائدة فتحولها إلى رموز وإشارات تحيل على أنساق ثقافية.

-أي محاولة لدراسة الشعر شكلا ومعنى ولغة لا ينبغي أن تبتعد على ضرورة فهم العلاقة القائمة بين لبفعل الثقافي والفعل الاجتماعي.

-تتطلب التغيرات الحاصلة في السياقات الثقافية والاجتماعية إلى تغيرات في شكل ومضمون وبنية الإنتاج الثقافي والفكري والأدبي ومنه القصيدة الشعرية.

7 الهوامش:

[1] بالتصرف،النوري عيسى، الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، العدد 11، 1979، ص: 45.

[2] بالتصرف، الابراهيم فائقة يوسف، المشكلات السلوكية والاغتراب، مجلة الشؤون الاجتماعية، العدد 36، الكويت، ص: 20.

[3] الشنفرى، ديوانه، جمعه وشرحه وحققه: اميل بديع يعقوب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996، ص: 58-59.

[4] المرجع نفسه، ص: 59.

[5] بالتصرف، رباح عبد الله علي، مظاهر القهر الإنساني في الشعر الجاهلي، أطروحة تندرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، ص: 110- 113.

[6] محمد برونة، شعر الصعاليك. قراءة في المتن، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، العدد 46، 2009، ص: 68.

[7] محمد برونة،المرجع نفسه، ص68.

[8] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1978، ص: 63.

[9] ماجد الشمري(2012/8/27)، الصعاليك ... شعراء ومتمردون، اطلع عليه في (2021/4/2)، https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=321615

[10] بالتصرف، عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، ص: 55-62.

[11] ديوان الشنفرى، ص: 60-61.

[12] بالتصرف، عبد الحليم حنفي، المرجع السابق، ص: 36-66.

[13] ديوان تأبط شرا وأخباره، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي،ط1، 1984، ص: 215.

[14] يوسف خليف، المرجع السابق،ص: 215.

[15] ديوان تأبط شرا وأخباره، المصدر السابق،ص: 87-88.

[16] الشنفرى، الديوان، ص:69.

[17] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[18] عروة بن الورد، ديوانه، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1998، ص: 191.

[19] المصدر نفسه، ص: 100.

[20] خالد محمد راشد الصغير العجمي، صورة البطل عند الشعراء الصعاليك في الجاهلية، رسالة تندرج ضمن متطلبات نيل شهادة ماجستير، التخصص، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأردنية، 2008، ص: 19.

[21] المفضل الضبي، المفضليات، ط6، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ، دار المعارف، القاهرة، 1979، ص: 361-362.

[22] ديوان الشنفرى، ص: 27-28.

[23] ماجد عطية حميدي، عبد الحسين كعب عمير، محور الدراسات العربية، العدد 18، ايران، جامعة فردوسي مشهد، 2016، ص: 52.

8المصادر والمراجع:

1. الابراهيم فائقة يوسف، المشكلات السلوكية والاغتراب، مجلة الشؤون الاجتماعية، العدد 36، الكويت.
2. تأبط شرا وأخباره، ديوانه، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي،ط1، 1984، ص: 215.
3. خالد محمد راشد الصغير العجمي، صورة البطل عند الشعراء الصعاليك في الجاهلية، رسالة تندرج ضمن متطلبات نيل شهادة ماجستير، التخصص، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأردنية، 2008.
4. رباح عبد الله علي، مظاهر القهر الإنساني في الشعر الجاهلي، أطروحة تندرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين.

5. الشنفرى، ديوانه، جمعه وشرحه وحققه: اميل بديع يعقوب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996.

6. عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987.

7. عروة بن الورد أمير الصعاليك، ديوانه، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998.

8. ماجد الشمري (2012/8/27)، الصعاليك ... شعراء ومتمردون، اطلع عليه في (2021/4/2)، https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=321615

9. ماجد عطية حميدي، عبد الحسين كعب عمير، محور الدراسات العربية، العدد 18، ايران، جامعة فردوسي مشهد، 2016.

10. محمد برونة، شعر الصعاليك. قراءة في المتن، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، العدد 46، 2009.

11. المفضل الضبي، المفضليات، ط6، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ، دار المعارف، القاهرة، 1979.

12. النوري عيسى، الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، العدد 11، 1979.

13. يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1978.